تبرير الديانة النصرانيّة
للبطريرك مكسيموس المظلوم

بسم الله الأزلي السرمدي

إنّ قدس قداسة السيّد كيريو كير مكسيموس مظلوم البطريرك الأنطاكي والاسكندري والاورشليمي وسائر المشرق، على طائفة الروم الكاثوليكيّين الملكيّين الكلي الشرف والطوبى حينما كان بممحروسة مصر في أواخر سنة 1837 سبعة وثلاثين وثمانمئة وألف مسيحيّة، الموافق ذلك إلى سنة ألفو مائتان وثلاثة وخمسين هجريّة سنة 1253، أرسل إليه أحد علماء الإسلام رسالة تحتوي على ثمانية عشر سؤالاً فيما يخصّ الديانة المسيحيّة وهمّ الآتي ايرادهم وغبطته جاوبه عنهم بما يأتي شرحه قائلاً: أروم أن تفيدني عن السؤالات الآتي ايرادها، جوابًا وصيحًا مبرهنًا من العقل النطقي: وهي

أوّلاً: أين هو الله؟وما هي صفاته المتّصف بها؟ وتعليل ذاته العليّة.

ثانيًا: كيف يوجد فيه ثلاثة أقانيم، آب وابن وروح قدس؟ وكيف هذه الثلاثة أقانيم حاصلون على المساواة بالجوهر والذات كواحد لا ثلاثة؟

ثالثًا: وهل إنّ الأقنوم الأوّل بواسطة كونه أبا لا يكون علّة وجود الأقنومين الآخرين، أو أقلّه يكون أزليّ عنهما؟

رابعًا: وهل إنّه نظرًا إلى وجود الثلاثة أقانيم بواحد لا يتجزأ الجوهر ولو بمساواة معادلة على حدّ سواء؟

خامسًا: وهل إنّ الأقنوم الثاني بواسطة كونه مولودًا من الآب فالولادة لا توجب البداية له، وكيف ذلك؟

سادسًا : وإذا كان مساويًا في الأزليّة فكيف يكون إبنًا؟ أو الروح القدس بسبب أنّه منبثق منهما، فكيف الانبثاق لا يوجب عليه الحداثة عنهما وعدم الأزليّة؟

سابعًا: ما هو المقتضى لهذا التعليل ووجود الأقانيم في الله؟

ثامنًا: وهل وجود الأقانيم الثلاثة نظرًا إلى المساواة بالأزليّة لا يضرّ إذا قلنا عن الابن إنّه الأقنوم الأوّل، وعن الآب أنّه الأقنوم الثاني؟

تاسعًا: ما هي الغاية لنزول الابن إلى الأرض ؟

عاشرًا: وحيث وجود الوحدة في الله، فكيف نزل وما حصل تجزّء؟

حادي عشر : حيث إنّ الله تعالى هو على ما هو عليه منذ الأزل، والسماء والأرض مالئهما، وهما مليئان منه، وذلك زيادة عن أن نقول موجود في كلّ مكان، فإذا قلنا نزل، توجب عليه الانحصار قبلاً فوق، فهذا غير مدرك حيث إنّه يضاد الوجود العمومي السابق ذكره وينافي وجوده في الأرض قبل النزول.

ثاني عشر: ثم من حيث أنّه حلّ في بطن مريم البكر وتجسّد من الروح القدس، فكيف من الروح (لا كيف نظرًا إلى ولادته من بكر من دون زرع)، بل ما هو مدخل الروح القدس حيث هو نزل، ليت شعري،أما هو ماف لتمام المرغوب أم كيف الحال؟

ثالث عشر: تم إنّ النفس الناطقة التي أخذها هل هي مخلوقة؟ وكيف وجدت؟

رابع عشر: كيف انحصر مدّة الحبل ماكثًا في بكن مريم البتول مع أنّه عديم الانحصار ولا يسعه الفضاء؟

خامس عشر: وهل على الابن فقط صار هذا الانحصار؟ وإن قلت ما انحصر حتى ولا الابن فيقتضي البرهان المقنع للعقل.

سادس عشر : كيف الحكم على العزة الإلهيّة في احتمال الزلّ والهوان مع أنّ الله نظرًا إلى جوهره وقوّته الموجودة فيه أزليًا هو عاجز عن أن يفعل ما يوجب إهانته لأنّ الشيء المستحيل والغير ممكن لا يمكن أن يقبله العقل؟ ولا يمكنا أن نقول أنّ النار تطفىء الماء بل بعكسه. وإن قلت أنّه حصل الهوان على الجسم الإنساني الماخوذ من مريم البتول، أجبتك بأنّ÷ حيث وجودجوهر الكلمة مع الجسد طبعا فلا يقبل الهوان كما تقدم.

سابع عشر: ثم كيف مكث في القبر ثلاثة أيام؟ وهل بهذه البرهة انخلى الجوهر عن الجبلة أو دفن معه؟

ثامن عشر: وبعد صعوده بالجسد إلى السماء، ترى هل يبقى الجوهر متّحدًا مع الجسد اتحادًا كاملاً ومتحدًا وع الآب والروح القدس اتحادًا كما كان قبلاً من دون نقصان نظرًا لحدوث اتحاده مع الجسد الذي ما كان قبل التجسد؟

الخاتمة

الفاتحة

أحمد الله الواحد الهدا أكمل الكوامل سرمدا
حده كلّ الصلاح حاله كاره الطلاح
دوامه واسع مد دورا ماله حد
روح عامل طاهر رحوم عادل ساهر
طلوع سما كل ّالخطوط طول محوط الوسوط
سالم عادم الحواس سلامه ما له عطاس
عالم السرّ والمطالع علو للأرواح ساطع
كمال كا كمال مالك كرم والكرم سواه هالك
لم للعلل لا معلول لام للمال لا مول(مؤل)
ملك الممالك العام معول العوالم الطام
هو أوّل الأوّل لا سواه هو المحرّك والمعاد لما أولاه
لا إله إلاّ هو كلا لا معاد له أصلاً وكلا.

أمّا بعد فأقول إنّه إذ قد سألني أحد علماء الإسلام الكرام الجليل القدر والمقام ثمانية عشر سؤالاً وهي المسطّرة أنفا معترضا بها عقائدنا النصرانيّة نظرًا إلى الأقانيم الإلهيّة الثلاثة ونظرًا إلى تأنّي الاقنوم الثاني منهم طالبًا منّي حلّها ولكن لا بشهادة كتاب الله وإقرار مسفريه بل ببراهين فلسفيّة عقليّة الأمر الذي ولئن كان عسرًا جدًّا على الضعف البشري وقسر الرؤية الإنسانيّة توضيحه، فضلاً عن إدراكه كنّها، فمع ذلك من حيث إنّ العقائد النصرانيّة لا نهرق من الفحص لأنّها نزيهة عن الكتمان والإخفاء الذين هما من صفات المعتقدات الغريبة عن الحقّ، فقد توجب علي إتمام مرغوب الرجل العلامة المشار إليه، فأجبته بهذه الرسالة الوجيزة البرهانيّة، دعوتها تبرير الديانة النصرانيّة.

ثم أجيب عن **سؤاله الأوّل**، وهو أين هو الله؟ وما هي صفاته المتّصف بها؟ وتعليل ذاته العلية.

فأقول:

أوّلاً : إنّ الله الذي هو جوهر روحي تام كائن بذاته، كلّي الكمال، وواجب الوجود، عديم أن يعرف ببرهان لمشي إذ لا علّة له بل تمكّن معرفته ببرهان آني أي بواسطة براياه هو موجود في كلّ مكان بجوهره وبحضوره وقدرته لأنّ الجوهر الإلهي ينقد الخلائق كليا ويعلم الصائرات تمامًا ويحفظ الكائنات جميعها لأنّ خلو هذا الجوهر غير المسموح من مكان ما ولا أينا واحدة هو نقص يضاد كونه الكلي الكمال في ذاته وصفاته تجلي تعالي عن ذلك.

ثانيًا : إنّ صفات الله التي هي الكمالات الموجودة في ذاته إنّما تلاحظ بحسب تصوّرنا وفهمنا بنوعين أي صفات مطلقة وصفات مضافة. فالمطلقة تخصّ الجوهر الإلهي أي الثالوث الأقدس معًا كالصلاح والأزليّة والسرمديّة وعدم التركيب والوجود في كلّ أين وسائر الصفات التي تحمل على الذات وعلى كلّ من الثلاثة الأقانيم معًا مطلقًا المضافة منها ما يخصّ الأقنوم واحدًا، ومنها ما يخصّ أقنومين كالأبوّة في الاب والبنوّة في الابن والقدرة الباثقة في الآب والابن معًا والانبثاق في الروح القدس. فالصفات المطلقة فيه عزّ وجلّ لا يمكن أن تتميّز إحداها من الأخرىأو من الذات الإلهيّة تميّزًا حقيقيًّا بل وهميًّا فقط بالعقل والتصوّر لا غير لأنّ مثلاً القدرة في الله والله هو القدرة، والرحمة والعدل فيه شيء واحد، ولذلك الصفة والموصوف على حدّ سواء قولنا الله هو حكيم وهو الحكمة خلافًا للصفات المضافة فإنّ إحداها تتميّز عن الأخرى تمييزًا حقيقيًّا بأنّ الأبوّة هي البنوّة وهما غير الانبثاق لوجود التضادد الإضافي بينهما لأنّه من المحال أن يقوم الأب والدًا ومولودًا معًا، والابن مولودًا ووالدًا معًا، والروح القدس باثقًا ومبثوقًا (منبتقا) معًا. ولكن هذه الصفات الإضافيّة ولأن وُجد

فيما بينها تمييز حقيقي فلا تتميّز هي عن الذات الإلهيّة هذا التمييز الحقيقي بل الوهمي في العقل لأنّها مع الجوهر الإلهي شيء واحد لعدم وجود التضاد فيما بينها وبين الذات.

ثالثًا:إنّ تعليل الذات الإلهيّة محال ببراهين لميّة كما تقدّم القولاذ لا علّة له تعالى وغير مصدر حتى ولا من ذاته بل هو كيان أزلي وجوديّ بذاته غير معلول بل علّة لجميع الكائنات إذ هي منه وبه وإليه، وهو وحده يدرك ذاته العديمة الإدراك من غيره، ولو أمكن تعليله لميًّا لمّا كان إلهًا وإنّما عرف ويعرف لا بما هو عليه ذات لكن بحقيقة وجوده آتية ببدائح قدرته الكائنة مرئيّة وغير مرئيّة.

ثم أجيب عن **السؤال الثاني** وهو كيف في الله تعالى ثلاثة أقانيم، آب وابن وروح قدس؟ وكيف أنّ الثلاثة حاصلون على المساواة في الجوهر والذات كواحد لا ثلاثة؟

فأقول:

أوّلاً: إنّه من حيث إنّ الله هو جوهر روحي عاقل من بدء فضرورة فيه عزو جلّ العقل والإرادة جوهريًّا فعليًّا دواميًّا لأو إمكانيًّا كما يعرض لقوى أنفسنا، لأنّ هذا العرض نقص فينا تجلّى الله عنه فلم يكن إذًا ممكنًا له أن لا يعقل ذاته الكلّية الكمال بتعقّل أزلي فاعلي أو أن لا يجب هذه الذات الفائقة العظمى بإرادته الفاعلة دائمًا، على أنّ العقل الذي هو قوّة جوهريّة في الطبيعة الروحيّة كما في الملاك وفي النفس الناطقة، فهذا عندما يعقل موضوعًا ما، فهو يرتسم في ذاك الموضوع ضرورة إن كان صالحًا وإن طالحًا، وحينئذ الإرادة تبرّر مفعولها نحو الموضوع نفسه، إمّا بحبّها إيّاه لصلاحه وإمّا بكرهها إيّاه لطلاحه، فإذا بقياس التمثيل إذ إنّ الله لروح جوهر محض وله ضرورة فعل التعقّل دائمًا فهو أزليًّا يعقل ذاته، وحدّ هذا التعقّل هو صورة حيّة صادرة عن الذات غير القوّة العاقلة، ثم يحبّ هذه الصورة سرمدًا بقوّة إرادته الحيّة الفاعلة وحدّ هذا لحبّ ينتهي بطلعة أخرى عير القوّة المحبّة بالإرادة، لأنّ المحبوب هو غير المحبّ كما أنّ المعقول هو غير العاقل، فأي نعم! إنّ تمييز القوّة العاقلة في الجواهر الروحيّة غير الله من الموضوع المعقول وقوّة الإرادة غير متناه، لأنّه تعالى جوهر بسيط محضا كلي الاتساع والخصب وكلّما فيه هو ذاته عينها وبالقوّة العاقلة فيه لا تعطي معقولها المنطبعة هب فيه بفعل التعقّل غير ذاتها نفسه، كما أنّ قوّة الإرادة فيه لا تعطي المحبوب منها المتميّز عنها غير ذاتها عينها وبالتالي إنّ قوى العقل والإرادة في الجواهر الروحيّة غير الله إذ هي أعراض فهي قابلة الانتقالات والتغيير، إنّما في الذات الإلهيّة فجوهر بل هي ذات الجوهر الإلهي فهي في الله دائمًا عديمة هذه العوارض وإذ يعقل الله ذاته الإلهيّة فبواسطة ذاته يعقل الأشياء كلّها، لأنّ الله هو فعل محض خلاقًا لتعقّل النفس الناطقة المنتقل بالأفعال، ولذلك مبدأ عام في معتقدنا نحن المسيحيّين عن الابن أنّ÷ به كان ويكون كلّ شيء من حيث إنّ فعل تعقّل الله ذاته لا يخرج عن ذاته وبه يعقل الأشياء كلّها، فإذا العاقل والمعقول والمحبوب من كلّيهما ليسوا واحدًا في القيوميّ' والتمييز الحقيقي الكائن فيما بينهم ولئن كانوا واجدًا في الطبيعةوالجوهر لأنّ لهم ذاتًا واحدة عديمة الانقسام نزيهة عن الأعراض ومشاعة للثلاثة بالتساوي التام لأنّ كلا منهم يمتلكها كاملة. وكما أنّه محال أن يوجد ألهان او أكثر بل إله واحد، فرد، صمد، نزيه عن ند أو شريك، ومحال أيضًا أن يكون الله العاقل ذاته وصورته المعقولة والمحبّ ذاته (وحّد الحبّ الصادر عنه بالإرادة غير الحّد الصادرة منه بالتعقّل)، واحدًا بالقيوميّة فاقت التمييز في ما بين العاقل والمعقول والمحبوب منهما، ومحال ايضًا وجود العرض في الذات الإلهيّة، بل كُلما في الله العاقل هو الله، وكلما في الله المعقول هو الله، وكلما هو في الله المحبوب منهما بفعل الإرادة هو الله، فهكذا محال هو إلاّ الأقنوميّة المتميّزة إحداها من ألأخرى نمييزًا حقيقيًّا،ولئن لم يكن لضغف الرؤية البشريّة إدراك هذا التمييز كنهي كما هو عليه في نفسه الواجب التسليم به والإذعان ضرورة بوجوده.

ثانيًا : تقريبًا للمفهوميّة الإنسانيّة أقول إنّه فيما بين النموذجات الأخر المشابهة ما نحن في صدده توجد هذه الثلاثة أمثلة وهي الشمس والنار والنفس الناطقة، فالشمس هي جوهر واحد ومع كونها جوهرًا واحدًا تحتوي على قرسها وشعاعها وحرارتها. فالقرس هو غير الشعاع، وهما غير الحرارة، لأنّ قرسها يدفع إلينا شعاعها، والقرس والشعاع يبعثان إلينا الحرارة الصادرة عنهما، فإذًا يوجد في جوهرها الواحد ثلاثة أشياء يتميّز أحدها عن الآخر تمييزًا حقيقيًّا وكذلك إنّ النار وضياؤها والإحراق الصادر عنهما عي ثلاثة أشياء في واحد يتميّز أحدها عن الإثنين وكلّ منهما عنه. وهكذا النفس الإنسانيّة وقوّة التعقّل وقوّ' الإرادة فيهما، لأنّ ماهيّة النفس الإنسانيّة هي القوّة العاقلة، وهذه ليست القوّة المريدة، وبالتالي إنّ تمييزًا حقيقيًّا كائن فيهما بين هذه الثلاثة أشياء مع أنّها واحدًا جوهرًا. فأي نعم! إنّ الشعاع والحرارة الصادرين عن الشمس ومثلهما الضياء

والإحراق، وكذلك قوّتيّ العقل والإرادة في النفس، إنّها بصدورتها أعراض تجلّي الله عنها، ولكنّها تماثيل جزيلة المناسبة لتقوية المفهوميّة البشريّة بأنّه إن كان في الخلائق المتناهية المحدودة الضعيفة يوجد هذا التثليث في واحد جوهرًا بتمييز حقيقي، فكيف لا يوجد في الذات الإلهيّة الواحدة جوهرًا العديمة التناهي الغير المحدودة، الكلّية الاتساع والخصب، الفاعلة سرمدًا العديمة أن تكون عقيمة في أفعالها والمستلزمة وجود الصفات الإضافيّة جوهرًا لا عرضًا، والنزيهة عن التجزّء والانقسام ذاتًا فإذًا توجد في الله هذه الصفات الإضافيّة الأربع للثلاثة الأقانيم الكائنة في ذاته الواحدة أي صفة فاعليّة التعقّل في الأقنوم الأوّل، وصفة مفعوليّة التعقّلي الأقنوم الثات، وصفة فاعليّة الانبثاق في الأقنومين الأوّل والثان بقوّة الإرادة الواحدة فيهما نتيجة للحبّ المتردّد بينهما، ثمّ صفة مفعوليّة هذا الانبثاق في الأقنوم الثالث. وإنّما نفول فاعليّة ومفعوليّة على جهة التوسيع تقريبيًّا لمفهمميّتنا، لا بحصر اللفظ. فهوذا قد اتّضح وجوب كيان هذه الصفات الإضافيّة في الذات الإلهيّة الواحدة، ووجوب تمييز إحداها من الأخرى تمييزًا حقيقيًّا مع وحدةالجوهر الغلهي العديم التجزء والانقسام ومع تساوي كلّ من الثلاثة الأقانيم تساويًا كاملاً مع الآخر، إذ هم واحد في الذات، ولكلّ منهم الجوهر الإلهي بجملته مشاعًا لهم، وهم به واحد فقط.

ثالثًا: إنّ الأقنوم الأوّل دُعي أبًا ووالدًا، والثاني سُمي ابنًا ومولودًا وكلمة وحكمة، والثالث لقب بالروح القدس وبارقليطا، وذلك مجازًا واستعارة بالمناسبة الكلّية لحال الصدورات الكائنة فيما بينهم، لأنّ أقنوم الأوّل إذ هو بصورة بدء وينبوع للأقنوم الثاني البارز منه بفعل يستلزم مماثلة فاعلة، وهو فعل العقل طبيعيًّا وجوهرًا كاملاً مساويًا له قد حسن أن يدعى أبًا ووالدًا للاقنوم الثاني الذي لهذه العلّة بالصواب سمي ابنًا ومولودًا تناسبًا للمعنى الطابق حدّ الإيلاد الذي هو صدور حيّ من حيّ، بمبدأ مقترن يستلزم شبه طبيعته، لأنّ الأقنوم الثاني هو صادر من الإقنوم الأوّل حيّ من حيّ بمبدأ مقترن، بل واحد مع الذات كون العقل الإلهي واحدًا مع الذات، وبأشدّ تماثل يستلزم شبه الطبيعة بل الطبيعة عينها. ومن ثمّ دُعي الإبن كلمة أيضًا لأنّه صادر عن الآب لا كالبشر وغيرهم، تسامى الجوهر الإلهي عن ذلك، ولكن بفعل التعقّل صورة جوهريّة للاهوت وكلمة نطقيّة للعقل الإلهي، كما هو فحوى لفظة كلمة، ولأن برزت منم الفم فهي مولودة عن العقلولذلك بكلّ لياقة سُمي حكمة أيضًا لصدوره عن فعل التعقّل الإلهي الذي هو حكمة ذاته. وهكذا القنوم الثالث بالصواب دُعي روحًا قدوسًا، لصدوره عن الآب والابن بمبدأ واحد بفعل الإرادة، لا تبتغي شبهها في المحبوب منها بل تصبو نحوه بانعطاف كأنّه بهيجان وبفيضان نفس، ولكن بهيجان وفيضان قدسيّ طاهر لائق بالله لأنّه حبّ الجوهر الإلهي وهو الذات الإلهيّة عينها المنبثقة من الآب والابن كهيجان الإرادة بالحبّ نحو محبوبها لقبًا، لا يوجد أنسب منه لهذا الاقنوم الثالث الذي دُعي بارقليطا أيضًا أي معزّيًا، لأنّ إنعام الله ومواهبه على خلائقة تُفاض منه بعواطف حبّه نتيجة عن إرادة تعزية لبراياه الناطقة.

ثمّ أجيب عن **السؤال الثالث** وهو: هل إنّ الأقنوم الأوّل بواسطة كونه أبًا لا يكون علّة وجود الأقنومين الآخرين أو أقلّه يكون أزليًا عنهما؟

فأقول:

أوّلاً: إنّه محال أن يوجد في الذات الإلهيّة أو فيما بين أقانيمها الثلاثة القدسيّة علّ، أو معلول لأنّ لكلّ من الثالثوث الجوهر كاملاً عديم البداية وصدور الواحد من الآخر لا يستلزم في ذلك قبليّة وبعديّة كما يحدث في الصدورات المخلوقة.

ثانيًا: قلت قبلاً عن الآب الأقنوم الأوّل إنّه بمنزلة بدء وينبوع لإبن ومعه للروح القدس وذلك لعدم صدوره من أقنوم آخر، وهذه إنّما تسمية مجازية لا بالحصر.

ثالثًا: أي نعم. إنّه حسب ضعف الرؤية البشريّة لا يقدر أحد أن يتصوّر صدورًا ما خلوا من أن يتصوّر مصدره متقدّمًا عليه في الزمن ولو وهميًّا ولكن هذا عديم الإمكان في تلك الذات الواحدة الكلّية الكمال في كلّ نوع ومع ذلك إن كنّا من قياس التماثيل المورّدة آنفًا نفهم أنّ قرس الشمس لم يوجد ولا بنقط واحد من الزمن قبل شعاعها وحرارتها، ولا النار قبل ضياؤها وحرارتها (إحراقها) ولا النفس الناطقة قبل قوتيّ العقل والغرادة فيها، مع أنّ هذه الثلاثة الجواهر هي مخلوقة متناهية، والفرق فيما بينها وبين الجوهر الإلهي هو عديم التناهي، فأيّة صعوبة توجد في تسليمنا ضرورة بعدم وجود قبليّة وبعديّة في الصدورات الإلهيّةأي بعدم قبليّة الآب عن الابن والروح القدس، وبعدم بعديّتهما عنه في الوقت الذي فيه نسلّم ضرورة بعدم تمييز الأقانيم الإلهيّة الثلاثة من الجوهر الإلهي، ولأنّ تمييز أحدهم عن الآخر تمييزًا حقيقيًّا بالصفات الإلهيّة الإضافيّة.

ثمّ أجيب عن **السؤال الرابع** وهو هل إنّه نظرًا إلى وجود الثلاثة أقانيم بواحد لا يتجزّأ الجوهر ولو بمساواة معادلة على حدّ سواء؟ فأجيب:

أوّلاً: إنّي قد أوضحت لحدّ هنا ما به الكفاية عن محدة الذات الإلهيّة في أقانيمها الثلاثة خلوًا من الانقسام لعدم تمييز الصفات الإضافيّة من الجوهر الإلهي المساع لهم عمومًا، وكيف إنّ كلّ منهم حاصل عليه تمامًا.

ثانيًا: ضرب من التجديف والكفر بالله القول إنّ الطبيعة الإلهيّة يمكن انقسامها وتجزيئها،لأنّ هذا هو نفس نكران الألوهيّة عليه تعالى، لأنّه لمّا كان إلهًا لو أمكن انقسام جوهره الإلهي.

ثالثًا: لأنّه مبدأ فلسفي يقيني كلّي الوضوح هو أنّ الجوهر القابل الانقسام يمكن تجزيئه إلى ما لا ينتهي من الاجزاء، فلو أمكن أن نجزىء الذات الإلهيّة (العوز بالله من هذا القول) لأمكن تقسيمها لا إلى ثلاثة فقط بل إلى ألوف ألوف أجزاء، لأمر الذي لا إمكان ولا في الملاك ولا في النفس الناطقة مع أنّهما مخلوقان متناهيان وكأنّهما عدم بالنسبة إلى الله الخالق الغير المتناهي، ماذا... إلخ.

ومن ثمّ أجيب عن **السؤال الخامس** وهو: هلّ إنّ الأقنوم الثاني، بواسطة كونه مولودًا من الآب فالمولود لا تجب بالبداية له؟ وكيف ذلك؟

فأقول:

أوّلاً: إنّه تقدّم منّي الإيراد عن عدميّة القبليّة والبعديّة في الصدورات الإلهيّة بما لا حاجة لإعادته.

ثانيًا: لأنّ المبتدىء لا يتأخر عن مبدأه إلاّ إذا انفصل هو بجوهره عن جوهر مبدأه، والحال أنّ الجوهر واحدًا في الثلاثة الأقانيم الإلهيّة خلوًّا من تمييز منه أو انفصال عنه، فإذا...الخ .

ثالثًا: لأنّ العقل والتعقّل في الذات الإلهيّة هما واحدًا فيها فعاد، كما أنّ الإرادة وفعل الإرادة فيها هما واحدًا فعلاً، فلا يمكن فيه تعالي وجود العقل متقدّمًا على فعل الإرادة، وإلاّ لوجد العقل الإلهي الإرادة القدوسة ولو بنقطة واحدة من فسخ الزمن خاليين من الفعل، فهذا نقص تجلّى الله عنه، فإذا لا تقدّمًا للآب على الابن أو على الروح القدس، ولا تأخيرهما لهما عنه ولو أعتبر هو بمنزلة مبدأ لهما حسب مفهوميّتنا الواهية.

السؤال السادس: وهو إذ كان الابن مساويًا للآب في الأزليّة، فكيف يكون ابنًا والروح القدس، بسبب منبثق منهما، فكيف الانبثاق لا أجيب:

أوّلاً: بأنّه تقرّر آنفًا ما يعني عن التكرار، لأنّ هذا السؤال لا يختلف ذاتًا ومعنى عمّا سبقه. فالجواب هو واحد لهما.

ثانيًا: بأنّه إذا لم يمكننا إدراك ذات الله وتمييز صفاته القيوميّة أحدها عن الآخر حقيقة مع عدم تمييزها عن الجوهر الإلهي ، وكيف توجد صدورات أقانميّة الثلاثة خلوًا من قدميّة الواحد وحداثة الىخر عنه إدراكًا كاملاً، فنلتزم ضرورة أن نعرف دنآتنا وقصر مفهوميّتنا أحرى من أن نتعجب من عدم هذا الادراك لا سيّما لأنّه لو أمكننا أن ندرك الله كما هو عليه لما كان الله إلهًا غير مدرك أو لكنّا نحن إلهة نظيره أو قلّما يكزن لوجود إيماننا بالله طبيعيًّا مدروكًا معًا الأشياء الطبيعيّة، ولمّا كان اعتقادنا به إيمانًا إلهيًّا.

ثالثًا: لأنّه إن كان مبدأ عامًا عند الفلاسفة وفي المدارس هو أنّ الجزء الأعظم من الأشياء التي نفهمها هي الجزء الأدنى من الأشياء التي نجهلهاوذلك نظرًا إلى الطبيعيّات والإلهيّات أي الجواهر العديمة الهيولي المخلوقة فكم يكون أعظم جهلنا واستطاعتنا إدراك الذات الإلهيّة وصفاتها القيوميّة إدراك تام. الأمر المحال مطلقًا.

ثمّ أجيب على **السؤال السابع** وهو، ترى ما هو المقتضى لهذا التعليل ووجود الأقانيم في الله فأقول:

أوّلاً: إنّ المقتضي هو ذلك الحقّ نفسه، أي لأنّ الله هو حق واحد بالذات ومثلث بالأقانيم كما هو عليه فيلزمنا أن نعتقد به هكذا ليكون ليماننا به تامًّا لا متجزئًا بالتبعيض.

ثانيًا: لأنّه من قبيل أنّه –عزّ وجلّ- ميّزنا تفضيلاً عن براياه الأخرى الغير ناطقة بخلقته أنفسنا عاقلة، فهيمة، حيّة، غير قابلة الموت وذلك لكي نعرفه بالعقل وندركه بالفهم بمقدار ما يجب علينا وبما هو ممكن لدينا والحال أنّنا نستطيع أن نعقله واحدًا بالذات، مثلثًا بالصفات الإضافيّة ما عدا صفاته المطلقة، ونفهمه هكذا قلما يكون مفهوميّة غير تامّة نظرًا إلى حقائق ما هو عليه وبواسطة براهين آنية صادرة عنه، واقية، طبيعيّة، تمثل لنا تقريبًا لمعقولاتنا هذه الحقائق بما نستطيع أن نصل إلى معرفته، فإذًا يقتضي ذلك بلا بدّ.

ثالثًا: لأنّني إذا عدلت ههنا عن إيراد ما أعلنه الله الحقّ بالذات في كتبه الشريفة وبواسطة أنبيائه الأفاضل عن حقائق كونه موحّدًا بالذات مثلّثًا بالأقانيم، وعدولي عن هذا إنّما هو من قبيل العلامة المومى إليه أراد ذلك فلا أقدر أن أصمت عن ألوف وميليونات عديمة الإحصاء من البشر الأكثر فقهًا والأبلغ فلسفة والأوفر علمًا والأشدّ محاورة والأكثر امتدادًا في العالم كلّه والأقدم أجيال والأعمق بحثًا قد اعتقدوا به –عزّ وجلّ- هذا المعتقد الصحيح خلوًّا من اختلاف وما ذاك إلاّ لأنّهم عرفوه قبلنا ونظيرنا مقتضيًا وجوبًا لا عبثًا وفضولاً.

ثمّ أجيب عن **السؤال الثامن** وهو هل وجود الأقانيم الثلاثة نظرًا إلى المساواة بالأزليّة لا يضرّ إذا قلنا عن الابن إنّه الأقنوم الأوّل وعن الآب إنّه الأقنوم الثاني؟

أجيب:

أولاً: بأنّه مما تقدّم إراده في الأجوبة على السؤالات السابقة يظهر واضحًا وجوب رتبة الثالوث الأقدس بالتسميات المحقّة لهم حسب معناها اليقيني أي تسمية الآب قبل الابن وتسميتهما قبل الروح القدس لأنّه بحسب هذا المعنى اليقيني ضرب من التناقض تسمية الابن قبل أبيه، والآب بعد ابنه، ومثله تسمية الابن أقنومًا أوّل والآب أقنومًا ثانيًا.

ثانيًا: بأنّ صدور هذه الأقانيم أحدهم عن الآخر يحقّق لا تسميتهم فقط بل رتبيهم أيضًا لأنّه محال أن تسمّى الصورة المنقولة أوّلاً، والقوّة العاقلة ثانيًا، لأنّه انقلاب مضاد مجرى الطبيعة، كما أنّه محال أن يسمّى هجان الحبّ نحو الموضوع المحبوب قبل فعل الإرادة التابعة التعقّل. فأي نعم. إنّ الثلاثة أقانيم متساوون في الأزليّة والذات ولا تتميّز صفاتهم القنوميّة من الجوهر الإلهي ولا تميّز أحدهم عن الآخر ولكن تساويهم في الجوهر لا يبيح اختلاف رتبتهم لا عن حقيقة تسميتهم ولا عن نوع صدورهم.

ثالثًا: لأن أقنوم الآب عدا كونه أبًا وله بهذه الأضافيّة التسمية الأولى فهو حسب الصدورات لا يصدر من أقنوم آخر، فله إذًا بكلّ الوجوه تسمية الأقنوم الأوّل، وهذا لا ينعكس أصلاً.

ثمّ أجيب عن **السؤال التاسع** وهو ما هي الغاية من نزول الابن (أي الأقنوم الثاني) إلى الأرض؟

فأجيب:

أوّلاً: بأنّ المفهوم بالسؤال المذكور هو تأنّس الابن أي اتّخاذه من دماء مريم البكر ابنة يواكيم التي هي من نسل النبي داوود من سبط يهوذا جسدًا إنسانيًّا مقدّمًا إياه بأقنومه الإلهي، وهذا لغايتين أو علّتين: إحداهما تلاحظ الله والأخرى تلاحظ الطبيعة البشريّة فالملاحظة الله هي أنّه تقدّس -اسمه- شاء أن يمن على بريئته العاقلة بمنحة تعلن سموّ جودته وفضله فائقة بما لا يحدّ على سائر ما تُكرم به سواها من النعم والمواهب الآخر الصادرة بأمره خارجًا عن ذاته وهي أن يرقي العجنة الإنسانيّة إلى مرتبة كلّية السموّ مقنمًا إيّاها اتّحادًا حقيقيًّا بأحد أقانيمه الإلهيّة مجديًا ذاته بهذا مجدًا عديم الوصف من المنة والفضل، ذكرًا سرمديًّا لأفعال رحمته في وجوده وحكمته وقدرته.زمّا الغاية الملاحظة الطبيعة البشريّة فهي تهوّر هذه الطبيعة في وهدة العصيان المبين على خالقها باسم شرّه غير متناه لاحتوائه إهانة عظمى في حقّ عزّة الأهيّة غير متناه شرفها، وذلك في شخص آدم أب الدوحة البشريّو ووكيلها وممثّلها في شخصه بكيانها في صلبه، إذ إنّه سخر بالله محتقرًا أمره الذي به منعه تحت التوعّك بقصاص الموت عن الأكل من ثمرة شجرة المعرفة في الفردوس الأرضي. فأكل من ثمرتها مع حوّاء امرأته، الأمر المعروف في العالم، أجمع من دون ارتياب وبهذا العصيان خسروا آدم وذريته بأسره جميع النعم الإلهيّة الفائقة الطبيعة وانجرفوا في المواهب الطبيعيّة عينها جراحات مثخنة وحكم عدلاً من قبل الله بالقصاص عينه أي بالموت الجسدي غير الموت الروحي الذي التحق بهم حقًّا بفقدانهم نعمة البرارة، معدّين للعقاب الدائم في جهنّم عوض حياة النعيم وجنّة الأفراح السماويّة. وإذ ذاك قد نتج منه شرّ المعصية في حقّ الله ذي العزّة الغير المتناهية. فإنّي أسألك أيّها الفقيه أن تخبرني كيف يستوفي العدل الإلهي من الطبيعة البشريّة الساقطة حتّى هذه الإهانة الكلّية بعصيانها عليه، إلاّ بإجراء العقاب المورد آنفًا بعذابها سرمدًا في طرطوس النار المؤبّدة، وبذلك لا يكون مارس نحوها أفعال رحمته بل أباد جبلته بالكلّية، وأمّا أن يغفر لها شرّ جنايتها هذا العظيم مجانًا وبذلك لا يكون استوفى ما يخصّ عدله وكرامته ذذاته وربوبيته. فإن قلت إنّ آدم وذريّته يستغفرونه تعالى بالتوبة والندامة والأعمال الوفائيّة كالأصوام والصدقات وقهر الذات وأمثالها، فهذا القول لا يوافق ذكاؤه فهمك وتعمّق علمك، لأنّ أفعالاً كذا مقدّمة لله فمن هم خالون من نعمته ومبغوضون منه أعصيانهم هي عديمة القبول لديه، ثمّ ترى أية مناسبة فيما بين خليقة هكذا دنيئة من تراب الأرض وبين خالق كلّ العظمة

والجبروت، لتمون أعمالهم الوفائيّة حاصلة على التساوي بعزّته ضابطة الكلّ لا بل لو تقدّمت عنهم من أعظم ما يوجد في الملائكة أعمال وفائيّة توازي بعددها أرمال الكون المادي، وبصرامتها كلّ المرائر التي يمكن تصوّرها عقلاً، وبصلاحها جميع ما يمكن للفكر أن يتوهّم أجود منها، فهذه كلّها أليست هي أعمال خليقة؟ وأليس أنّ استحقاقها متناهيًا؟ فكيف يمكنها أن تفي عن شرّ الإساءة المصنوعة في حقّ جلال غير متناهي؟ فمن ثمّ حكمة الله دبرت طريقة بها تكمل الغايتان المتقدّم ذكرهما أي إظهار جودته وفضله وسخائه وفضله ورحمته في إنقاذ الجبلة البشريّة من الدثار والهلاك الابدي واستيفاء ما يحقّ له عن الإهانة بكرامة موازية لجلاله، بواسطة اتّحاد أحد أقانيمه الإلهيّة بهذه الجبلة وتقمهها به، لكي تصير بهذا الاتّحاد أعمالها الوفائيّة أعمال أقنوم إلهي معادل عزّته، كمن إله إلى إله،من مساو لمساو، ومن شرف عظمة الأقنوم الإلهي المقدّمة هي به، وهذا هو ما صنعه -عزّ وجلّ- في تأنّس الابن الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس.

ثالثًا: إنّ هذا التأنّس لم يكن عديم القابليّة أو نقيض الإمكانيّة، لا نظرًا إلى الذات الإلهيّة، ولا نظرًا إلأى الطبيعة الإنسانيّ‘، فهم موضوع قابل من جهّة الله ليس فقط من كونه تعالة قادرًا على كلّ شيء والأمور بأسرها مستطاعة لديه وبه يظهر أعظم أفعال صلاحه وسخائه ورحمته، بل أيضًا لأنّ هذا الاتّحاد لا يضاد روحيّته -عزّ وجلّ- وبساطة جوهره، ولا يحدث تركيبًا أو تأليفًا في الألوهيّة أو الأقنوميّة الإلهيّة، ولئن وجد الابن بعد التأنّس قائمًا من طبيعتين وفي طبيعتين إلهيّة وإنسانيّة، كما أنّه لا يحدث في النفس الناطقة تركيبًا أو تأليفًا في ذاتها اتّخاذها بجسدها الحيواني صائرة صورة له مع دوامها جوهرًا روحيًّا بسيطًا خاليًا من الامتزاج لأنّه متى اقترن جوهر بجوهره أي محلّه، وثانيهما يدعى حدّ الاتّحاد النهائي، ففي هذا الاتّحاد يكفي حدوث التغيير في أحدهما فقط الذي هو محلّ الاتّحاد، كما هو الناسوت المقدّم بأقنوم الابن والواقع عليه التغيير، كما كان، لا في ثانيهما الحدّ الذي ينتهي إليه الاتّحاد كما هو الجوهر الإلهي، بأقنوم الابن الذي لبس عديم الخيار، كما كان قبل التأنّي، لأنّه لمبدأ عام عند الفلاسفة أنّ الحدّ الذي ينتهي إليه الاتّحاد لا يمكن حدوث التغيير عليه في ذاته بته. ثمّ إنّ هذا التأنّي هو موضوع قابل من جهّة الإنسان أيضًا وهو لأن كان الطبيعة البشريّة وُجدت، غبّ التأنّس، خالية من أقنومها البشري، منقنمة بأقنوم الابن الواحد الإلهي فاي نعم! إنّ الإنسان، حسب تعليم جميع الفلاسفة، هو مركب من طبيعة وأقنوم وجوهر واحد، ونحن بلا بدء نفعم الجوهر الوجودي على نوعين كما قرّر رئيس الفلاسفة أرسطو طليس، أي نفهمه بماهيته ذاته، وهذا هو طبيعته ثمّ نفهمه بوجود قيامته وهذا هو أقنومه. ويحدّ الأقنوم بأنّه قيام أو جوهر روحي شخصي لطبيعة قابلة الاشتراك بكثيرين شأنه أن يقيمها بذاتها ويحجزها عن الاشتراك كما لا أخيرًا لجوهرها وبالتالي إنّ الطبيعة البشريّة التي تأنّى بها الابن كانت تستلزم أقنومها البشري الخاص بها ولكن هذا إنّما هو مجراها الطبيعيّة ولا بدّ منها كونيًّا غير إنّه لا جرم في أن باري الطبيعة ومكوّ،ها يستطيع بأعجوبة سامية على الطبيعة أن يتّخذ الجوهر البشري بدون قيوميّة التي إنّما تكمّله عن خارج فقط، وأن يسنده على أقنومه الإلهي مقتنمًا إيّاه به، ويكون بهذا حقًّا اتّخذ الطبيعة الإنسانيّة تامّة الجوهر وذات جاعلاً أنّ الأقنوم الإلهي يسدّ مسدّ أقنومها البشري الذي يحدّها مكملاً إيّاها خارجًالا غير، وهو غير الطبيعة كما أنّ صفة كيان الموجود العرضي هو التصاقه وقيامه بغيره، لأنمّا إن كان الله حسب ما هو مسلّم من الجميع وكما قرّر رئيس الفلاسفة المذكور يستطيع يسدّ بذاته مسدّ كلّ سبب مخلوق، فخلوا من أدنى أشكال يقدّر أن يقيم طبيعة بأقنوم إلهي حين تأهّبها لأن تفوز بقيامها مسندًا لها، أمّا من ذاتها، وأمّا من حين غيرها فأعاد لها به ما كانت تفعله أقنوميّتها، فإذًا ممكن وموضوع قابل من جهّة الله ومن جهّة الإنسان تجسّد الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس، كما قد تتمّ في شخص يسوع المسيح المولود من الآب أزليّة بالاهوت ومن مريم البكر زمنيّة بالناسوت.

ثالثًا: فإذ تقرّر ذلك اتّضحت الغاية الموروده في السؤال، وحصل الوفاء للعدل الإلهي تامًّا في الغاية والخلاص للطبيعة البشريّة من الهلاك الأبدي. كمكا هو كلّي البيان من حيث أنّ أعمال المسيح الإنسانيّة وُجدت فائزة باستحقاق وشرف الهيين لقيامة بأقنوم إلهي نزيهًا عن أقنوم بشري. ومن ثمّ فعل واحد من أفعال نوافعه أو تضرّعه وتألّمه وُجد كافيًا اردّ الشرف والتعطيم والجلالة للعزّة الإلهيّة كما مانت احتقرت ربوبيّتها بعصيان آدم وذريّته من قبيل شرف هذا الأقنوم الإلهي ومساواته لله ذات كما يفي ملك لملك أو مساو لمساو ما يحقّ له تمامًا. وفي هذا الشأن أورد نموذجًا مورد من غير إيضاح، وهو مثل الطعم في جنس الشجر أي اتّحاد غصن غريب بشجرة تختلف عنه طبعًا، فيعود معها شجرة واحدة. فبقياس التمثيل، الطبيعة البشريّة طعمت بأقنوم الكلمةالإلهي باتّحاده بها وأضحت معه شخصًا إنسانيًّا واحدًا الذي هو المسيح، وكما أنّ الغصن المتطعّم

بالشجرة متّحدًا بها لا يتغيّر عن طبيعته مستحيلة إلى طبيعتها ولا بعدم شيئًا من صفاته الذاتيّة طبعًا، ولأن وجد هو معها شجرة واحدة، هكذا الطبيعة البشريّة المتّحدة مع الطبيعة الإلهيّة بأقنوم الكلمة الأزلي لم تتغيّر عن طبيعتها مستحيلة إلى الطبيعة الإلهيّة، بل لبست على الدوام حافظة صفاتها الإنسانيّة من دون استحالة ولا تغيير. وكما أنّ الغصن الأجنبي المتطعم في إحدى الأشجار بعدم مستنده الطبيعي الذي كما هو قائمًا به في شجرته الأولى ويمتلك لذاته مستنداً جديدًا بانتقاله إلى أصل كان أجنبيّ عنه، كذلك الطبيعة الإنسانيّة باتّحادها بالأقنوم الثاني الإلهي باينت مسندها الطبيعي أي الأقنوم الإنساني المعدّ لهها حين تأهّبها لقبوله طبيعيًّا، واستندت على الذات الإلهيّة القائمة بأقنوم الكلمة عينه مشاركة الطبيعيّة الإلهيّة في مسندها هذا الشريف. وهكذا من هاتين الطبيعتين الإلهيّة والبشريّة الكاملتين المتّحدتين بلا انفصال من دون اختلاط أو امتزاج، وجد المسيح واحدًا ذا أقنوم واحد. زكما إنّ الغصن المذكور ولو استمرّت طبيعته المسمّى هو باسمها الأوّل متّصف بصفات الشجرة التي أخذ منها، فمع ذلك أثماره لا تدهى أثمار ضجرته الأولى بل أثمار الشجرة الثانية التي هو غرس فيها كذلك الطبيعة الإنسانيّة في المسيح فإنّ!÷ل لو استمرّت حافظت في الأقنوم الثاني الإلهي صفاتها البشريّة الطبيعيّة، فمع ذلك أفعالها (لأنّ÷ا شخصيّة قنوميّة) قد دعبت بالحصر لفظة ومعنى أفعال ابن الله نفسه حاصلاً على قيمة الأفعال الإلهيّة عينها. وهكذا لوحدة الأقنوم في المسيح أطلق عليه حقًّا أو صدقًا الصفات الإلهيّة والبشريّة معًا أي يصدّق عليه القول "إنّه إله وإنسان، إنّه ابن الله وابن البشر، إنّه أزلي، إنّه سرمدي، إنّه عديم أن يكون متألمًا أو مائتًا، وإنّه قابل للألم والموت" قضى على ذلك باقي الصفات الإلهيّة والبشريّة بنوع يخال وجود التناقض فيها ولا تناقض، لأنّها تحمل على المسيح من حيثيتين، لا من حيثيّة واحدة أي من حيثيّه أنّه الله ومن حيقيّة أنّه إنسان، لكونها قنومًا واحدًا في طبيعتين ثانيتين متقنمتين به، وهذا كافي لإقناع بالحقّ والصواب.

ومن ثمّ أخذ بالجواب عن **السؤال العاشر** وهو إنّه حيث وجود اوحدة في الله فكيف نزل زما حصل تجزّؤ، فأقول:

أوّلاً: إنّه لو كان اعتقادنا نحن المسيحيّين أنّه متأين في ابن دون غيره لا مالئًا كلّ أين وفسحة وفضاء علوًا وعمقًا وعرضًا واتّساعًا من جميع الكائنات الوجديّة والوهميّة وقلنا بعد ذلك إنّ أحد أقانيمه تعالى الثلاثة نزل إلينا لكان يوجد سبب للاعتراض ضدنا بكيف أنّ÷ ما حصل تجزّء في وحدة الله الفرديّة الصمديّة، والحال أنّ اعتقادنا به إلهًا واحدًا في كلّ مكان، فإذا.. الخ..

ثانيًا: من اعترافنا المتكرّر تقريره آنفًا أنّ الصفات الإلهيّة الإضافيّة القنوميّة الثلاثة لا تتميّز أصلاً عن ذات اللاهوت، بل إنّ لا منها مع الجوهر الإلهي واحد بوحدة ذاتيّة ولئن كان يوجد فيما بين إحداهما والأخرى تمييز حقيقي بحسب الإضافات القنوميّة، ينتج صريحًا أنّه حيثما يوجد أحد هذه الأقانيم الإلهيّة فهناك هو الجوهر الإلهي كاملاً، والحال أنّ هذه الذات القدسيّة الواحدة هي مالئة كلّ أين. ففي كلّ أين تكون الأقانيم الإلهيّة يوجد الجوهر الكليّ الكمال معها خلوًا من افتراق وتجزّء.

ثالثًا: إنّنا نعني بقولنا "نزل" لا انتقال مكاني –العوز بالله من هذا الاعتقاد الكفري- بل عن فعل التنازل نحو مذلّتنا وعن عواطف رحمته بالإشفاق على الطبيعة البشريّة ليجدّد كونها روحيًا بعد دثارها ويعالج جراحاتها غب أن تماست، ويقيمها من سقطتها عقيب وهادها نحو الدركات الجهنّميّة، كما أنّ الهامة وأن تكن هي الرأس في الجسم عالية فوقه، فعند وداواة أصغر أصابع الرجل المعروف بداء ما، تنحني متطاطئة وتتنازل منكّب للاهتمام في علاجه.

ثم أجيب عن **السؤال الحادي عشر** وهو حيث إنّ الله تعالى هو على ما هو عليه منذ الأزل والسماء والأرض مالئهما وهما مليئان منه وذلك زيادة عن أن نقول موجود في كلّ مكان، فإذا قلنا نزل فوجب علين الانحصار فبلاً فوق، فهذا غير مدرك حيث إنّه يضاد الوجود العمومي السابق ذكره وينافي وجوده في الأرض قبل النزول.

فأقول:

إنّه في جوابي عن السؤال المتقدّم أوضحت ما به الكفاية بأنّه غريب عن معتقدنا القول المذكور ولا نفهم بالنزول انتقالاً مكانيًا لكن تنازلاً وانعطافًا نحو دناءة الجبلة البشريّة فإذًا، لا اعتراض علينا بذلك غب اعتقادنا الصحيح الصريح واعترافنا المتين المبين بوحدة الذات الإلهيّة وبأنّ÷ا مالئة كلّ الفسح الوجوديّ' والوهميّة أيضًا. وإذا وجدت في بعض أقوال ديانتنا عن الأقنوم الثاني أنّه نزل من السماء وتجسّد،

فأوّلاً: لا نفهم ذلك سوى ما سبق شرحه عن فعل التنازل التشفق الإلهي على حقارة جنسنا.

ثانيًا: نستعمل هذه الكلمات بمعنى مجازي إستعاري لأنّه ولو أنّ جميع المعتقدين بالإله الواحد الذي لا شريك له يعترفون به –سبحانه وتعالى- إنّه موجود في كلّ مكان فمع ذلك تقرير عمومي هو من أفواههم أنّ الله هو في السماء لياقة بجلاله ومسجودًا له من خليقتهفي الأرض حيث هو يعلوهم ارتفاعًا ويقبل سجودهم وأعيادهم وعبادتهم.

ثالثًا: بما أنّه مسلّم من الجميع أنّ جرم الأرض هو كرّة في الفضاء وأنّ الأفلاك مستديرة حولها علوًا لا حدّ له وبالتالي إنّ الفضاء الذي يعلو كرة سموًا هو نفسه تحت هذه الكرة وطوًا، فلهج الخلائق عنه-عزّ وجلّ- إنّه ساكن السماء التي هي فوق الأفلاك المستديرة هو اليّق به تعالى، كما أنّ القول عنه أنّه نزل من السماء هو اليّق من أن يقال أنّه صعد من العمق، لأنّ السماء هي مستديرة على الأفلاكحسبما تقدّم القول، وهي تحت الأرض نظير ما هي فوقها، ومن ثم القول عنه تعالى أنّه نزل من السماء ليس هو إلاّ تقريبًا لضعف مفهوميّةالأميّين واستخدامه مجازًا واستعارة لا حقيقة.

ثم أجيب عن **السؤال الثاني عشر** وهو حيث إنّه (أي الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس) حلّ في بطن مريم وتجسّد من الروح القدس (لا كيف نظرًا لولادته من بكر من دون زرع) بل ما هم مدخل تاروح القدس حيث هو نزل _ليت شعري_ أما هو كاف لتمام المرغوب أم كيف الحال؟

فأحيب:

أوّلاً: بأنّه لا ريب ولا إشكال أصلاً بأنّ الابن الأقنوم الثاني الحامل على الذات الإلهيّة واحدة مع الآب والروح القدس هو كاف لصنع هذه الأعجوبة السامية التي هي حلوله في بطن مريم البكر واتّخاذه من دمائها الطبيعة الإنسانيّة كاملة مسندًا إليها على أقنومه الإلهي ومقنمًا إيّاها به باتّحاد حقيقي ولم يكن محتاجًا في ذلك إلى مساعد كما أنّه لا وجد ولا يوجد أحد من المسيحيّين معتقدًا بخلاف ذلك.

ثانيًا: إن ّتدخل الروح القدس في هذا العمل العظيم إنمّا هو ليكون سرّ افتداء الجنس البشري وخلاصه من الهلاك مصنوعًا من الثلاثة الأقانيم الإلهيّة وليس فقط إلى وحدتهم بالذات وبإرادة والحكمة والقدرة وسائر الصفات المطلقة والمضافة بل أيضًا نظرًا إلى الأفعال الخارجة من كلّ منهم بما يليق، فالآب بحسبما هو بمنزلة ينبوع اللاهوت ومبدأ الأقنومين الآخرين قد شاء خلاص الطبيعة الإنسانيّة بواسطة تنازل ابنه وتجسّده بموافقة الغايتين الموردتين في الجواب على السؤال التاسع مريدًا بإرادته المسرّة أنّ ها الابن يمارس العمل المذكور. والابن بمطابقة الإرادة الإلهيّة الواحدة اقتبل صنيع هذه المنّة العظيمة معتمدًا تتميمها تمامًا، وهكذا الروح القدس بوحدة المشيئة مع كليهما صنع الأعجوبة الفائقة الطبيعة بحبله، بفعل قدرته، من دماء مريم البكر تلك الفطرة المقدّسة مكوّنًا إيّاها إنسانًا مهيّأ لقبول الاستناد على أقنوم الكلمة الأزلي الذي حالاً اتّحد به وقنّمه بأقنومه الإلهي، وعلى هذه الصورة الثالوث الأقدس بفرديّة الإرادة ووحدة تامشيئة اشتركوا بعمل الخلاص البشر.

ثالثًا: لأنّه لا اشكال في أنّ المعجزات والعجائب الفائقة الطبيعة تصنع من الله بفعل إرادة خصوصيّة صادرة عن جوده ورحمته بمحبّة عطوفة نحو من يكون صنع المعجزة من أجله، ومن حيث إنّ الروح القدس يصدر من الآب والابن بفعل الإرادة وتردّد الحبّ بينهما بعواطف كأنّها هيجان المحبّة، فمن ثم مناسبة لذلك تخصّصت بالصواب أفعال المعجزات والجرائح والنعم والبمواهب بهذا الروح القدس إذ تفاض منه على الخلائق كأنّ÷ا بفيضان الحبّ والانعطاف الصادر عن الإرادة الواحدة والذات الإلهيّة الواحدة، والحال أنّ تجسّد الابن من مريم البكر هو من أعظم العجائب السامية وهو أخصّ أفعال الرحمة الإلهيّة وأسمى عواطف حبّ الله خليقته الناطقة فإذا بالصواب والحق يعتقد المسيحيّون بأنّ فعل تكوين الجنين في أحشاء مريم البكر بالنوع العجيب الذي تمّ به إنّما هو فعل الروح القدس.

ثم أجيب عن **السؤال الثالث عشر** وهو أنّ النفس الناطقة التي اتّخذها (الأقنوم الثاني في تجسّده)، هل هي مخلوقة؟ وكيف وجدت؟

فأقول:

أوّلاً: إنّ النفس الناطقة التي أخذها الله (ابن البشر) في تأنّسه هي مخلوقة بلا ريب من العدم إلى الوجود نظير خلقه سائر الأنفس البشريّة، لأنّه كما أنّ الإنسان التام هو ضرورة مركّب من نفس ناطقة وجسد حيواني لأنّه من المحال أن يوجد إنسان كامل ولا يكون هكذا فبالضرورة كما تكوين (تكوّن) ناسوت السيّد

المسيح من دماء مريم البكر خلقة مخلقة بفعل الروح القدس عينه مكوّن الجسد تكوّنت النفس الناطقة لتمام ناسوت المسيح صائرًا صورة لجسده كباقي الناس.

ثانيًا: إنّ هذه النفس الناطقة باختصاص سام خلقها الروح القدس من العدم إلى الوجود بريئة من جريرة آدم غير مدنسة باثم العصيان، وبهذا هي متميّزة عن أنفس البشر التي جميعها تخلق مشابها بجريرة آدم، أب الطبيعة البشريّة ووكيلها لأنّه لمن المستحيل أنّ الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس يتّحد بجسده مع نفس أثيمة بوثمة الخطيئة مكروهة من العزّة الإلهيّة، حاصلة تحت حكومة الهلاك الأبدي –معاذ الله من هذا التجديف.

ثالثًا: عن هذه النفس الناطقة عينها هي التي بموت المسيح انفصلت عن جسده كما يحدث لسائر البشر، وهي التي في الثالث يوم من موته رجعت إلى جسده بقدرة الاهوت متّحدة به اتّحادًا مؤبّدًا كما هو الآن، المسيح الحيّ إلى الأبد في مجده السرمدي.

ثم أجيب عن **السؤال الرابع عشر** وهو كيف انحصر الكلمة المتجسّدة مدّة الحبل ماكثًا في بكن مريم البتول مع أنّه عديم الانحصار ولا يسعه الفضاء؟

فأجيب:

أوّلاً: بأنّه لو كنا نحن النصارى نعتقد بأنّ اللاهوت قد انحصر ماكثًا في أحضان مريم البكر لكان يسوغ أن نسأل عن كيف. والحال أنّ هذا يضادد لا لعتقادنا فقط بل نور العقل والرؤية البشريّة وبالتالي غريب مطلقًا عن أقوالنا وأفكارنا فضلاً عن عقائدنا.

ثانيًا: إنّ الناسوت فقط في المسيح (أي جسمه البشري ونفسه الناطقة صورة الجسم) هو وحده الذي انحصر ليس فقط في بطن مريم العذراء والدته مدّة الحبل بل أيضًا في كلّ أين وُجد هو فيه زمن حياته على الأرض وغبّ موته في القبر وبعد قيامته وصعوده إلى السماء، وفي دوّامة إلى الأبد. لأنّ هذا الناسوت ولئن تقنّم بأقنوم الكلمة الإلهي وفاز بهذا الشرف العديم المثيل على الإطلاق، فمع ذلك لبس كما هو ماديًا منحصر في أين دون غيره.

ثالثًا: وأمّا أقنومه الإلهي فلأنّه (كما تقدّم القول أمرارًا) غير متميّز من الذات الإلهيّة. وهذه الذات قدّسة هي عديمة الانحصار، وقد تبرهن أنفًا أنّ الناسوت في المسيح استند على أقنوم الكلمة وتقنّم به عند عدم حصوله على الأقنوم البشري كالغصن الفاقد مسنده في شجرته مطعّمًا في شجرة أخرى ممتلكًا فيه قيامه، فإذا الناسوت باستناده على اللاهوت وتقنّمه بأقنوم الكلمة لبس هو وحده منحصرًا من دون أن يوقع على اللاهوت ولا على الأقنوم الإلهي انحصارًا ما ليس فقط لعدم قابليّتهما الانحصار ولعدم مقدرتهما على صنيع ذلك لا طبيعيًا ولا بنوع فائق الطبيعة، بل أيضًا لعدم الاحتياج إليه بوجهه من الوجوه بتّه، كما أنّ الغصن المتطعم في الشجرة الأجنبيّة عنه ذاتًا لا امكان فيه ولا احتياج له لا لتغييرها ووضع أو أين أو أصلاً أو كيفيّة ولا لحصرها فيه هو عليه هو وحده ومنعها عن احتوائها على أغصان آخر غيره مهما كانت عديدة. وهذا الجواب هو كافٍ.

ثم أجيب عن **السؤال الخامس عشر** وهو على الابن فقط صار هذا الانحصار؟ وإن قلت ما انحصر حتى ولا الابن فيقتضي البرهان المقنع للعقل المنطقي.

فأقول:

أوّلاً: أوردت في الجواب المتقدّم عدم الانحصار على الابن لا لاهوتًا ولا أقنومًا، وكيف أنّ الانحصار قد حدث على الناسوت فقط المتقنّم به.

ثانيًا: إنّه ليس برهان واحد بل براهين كثيرة ومختلفة قدّمت في أجوبتي المدوّنة لحدّ ههنا تعديد عدم الانحصار والانتقال لا عن الذات الإلهيّة ولا على أقانيمهما الثلاثة، لا إجمالاً ولا إفرادًا، وتحقّق تمييز هذه الأقانيم من الجوهر الإلهي فما الذي يقتضي إيراده أكثر للإقناع!

ثالثًا : إن كانت الفلاسفة مع أمامهم اعتقدوا وعلموا بأنّ الله يستطيع أن يسدّ بذاته مسدّ كلّ سبب مخلوق، أهل أنّهم بذلك فكّروا فضلاً عن أنّهم أوجبوا انحصار ما عليه –عزّ وجلّ- بكونه يسدّ مسدّ الأقنوم البشري، فأي انحصار هذا وقع على ذاته؟ أو على أقنومه؟ فتلك العزّة السامية الجلال التي تسند الكائنات كلّها وتعطيها الحركة غب الوجود، وتحفظها دائمًا من الإبادة وهي تقدّست ببساطتها استمرّت عديمة الانحصار، أفهل يقع عليها هذا الانحصار لأجل إسنادها (استنادها) إنسانًا واحدًا متّحدًا بأحد أقانيمها زمقنّم به، وإلاّ فالمرء بالصواب يلزمه الإقناع التام بما تقرّر إذ لا وجه له بعد للارتياب.

ثم أجيب عن **السؤال السادس عشر** وهو كيف الحكم على العزّة الإلهيّة في احتمال الذلّ واله والهوان مع أنّ الله نظرًا إلى جوهره وقوّته الموجودة فيه أزليًّا هو عاجز عن أن يفعل ما يوجب إهانته لأنّ الشيء المستحيل والغير الممكن لا يمكن ان يقبله العقل، ولا يمكننا أن نقول إنّ النار تطفىء الماء بل بعكسه. وإن قلت إنّه حصل الهوان على الجسم الإنساني المأخوذ من مريم البتول، أجبتك بأنّه حيث وجود جوهر الكلمة مع الجسد طبعًا فلا يقبل الهوان كما تقدّم.

فأقول:

أوّلاً: إنّه يلزمنا أن نفهم إرادة الله على نوعين، كما فهمها الفلاسفة وهما إرادة الزور وإرادة السماح، مثلاً الزور بإرادة السرور قد خلق تعالى آدم، وبإرادة السماح لم يمنعه عن فعل العصيان. فإذا الله عاجز عن (أن) يفعل ما يوجب إهانته بإرادة الرضى والسرور أي المسرّة، وبفعل خاص من قبله مسلّم ولكن بإرادة السماح وبفعل غير خاص من قبله بل من علل آخر توان منكر. على أنّه أمر عديم الريب هو أنّه لا يستطيع أحد من دون العون الإلهي العمومي أن يتكلّم أو يمارس فعلاً ما من الأفعال مطلقًا، ومن المآثم والخطايا ضدّ الناموس الإلهي الطبيعي والوضعي تحتوي إهانة في حقّ الجلال الإلهي وهذه نفسها خلوًا من العون الإلهي العمومي لا يمكن أن تتم، فإذًا بسماح الله وبعلل الآخر توان لا بفعل خاص من قبله تعالى يحدث الهوان في حق العزّة الإلهيّة وهي تحتمله بطول آناة رحمته وصبرًا إلى حينما العدل الإلهي يمارس الانتقام.

ثانيًا: شيء هو إيصال الهوان للعزّة الإلهيّة ذاتًا أو أنّ الله يفعل ما به تهان ذاته، وشيء آخر هو حدوث الإهانة عرضًا واتّصالها إلى العزّة الإلهيّة عرضًا بإرادة السماح والإهمال منه تعالى لأنّ الشيء الأوّل هو غير ممكن بل إنّ الله عاجز عن فعله لأنّه مضاد لصلاحه وكماله المطلق لخلافه للشيء الثاني فإنّه يلتحق به تعالى عرضًا أي من قبيل أفعال الطبيعة العاقلة بما به تخالف المراسيم الإلهيّة والاستقامة الواجبة لأنّ الافتراء مثلاً على ملك بمخالفة شريعة الاحترام لعزّته الملوكيّة واحتمال هذا الهوان منه ولئن كان آتيًا بواسطة إحساناته إلى المفتري لا يمكن القول عنه إنّه هو علّة هذه الإهانة أو فاعلها لذاته، كما إنّه لا يمكن القول إنّها التحقت بالعزّة الملوكيّة ذاتًا بل عرضًا، فعلى هذه الأقيسة والبراهية لا العزّة الإلهيّة أهينت ذاتًا وباطنًا جوهريًّا بما أُهين به الناسوت المسيح المتقنّم بالأقنوم الثاني ولا أنّ الله هو الفاعل إهانة كذا باحتماله إيّاها لسماحه بحدوثها بالإهمال بل صادرة من سوء إرادة البشر وبالتالي لا يوجد في ذلك تناقض كالقول إنّ النار تطفىء النار.

ثالثًا: لقد تقدّم التقرير في الجواب عن السؤال التاسع عن الغايتين اللتين من أجلهما صار التجسّد الإلهي وعن إمكانيّتهما وجودتهما ولقايتهما، ومن ثمّ لم يكن ضروريًا للمسيح كلمة الله أن يُهان لكي يقدر أن يفتدي الطبيعة البشريّة يخلّصها من الهلاك بل ولم يكن هذا مقصودًا من الإرادة الإلهيّة لأنّه كان يكفي لعمل هذا الافتداء والخلاص إنّ المسيح كان يُقدّم تضرّعًا واحدًا ظاهرًا أو باطنًا لله أبيه من أجل ذلك فخلو من كلّ ريب فعل هذا التواضع بالتضرّع من إنسان هو إله معًا متقنّم بأقنوم إلهي متّحد بذات اللاهوت هو ذو قيمة معادلة لكرامة الله كلّية الكفاءة للوفاء عن خطايا العالم أجمع بل عن خطايا ألوف عوالم، فإذًا جميع الإهانات التي حدثت للمسيح بحسبما هو إنسان وحدث كذلك في حقّه بحسبما هو إله أيضًا، فهذه:

أوّلاً: ليس مفعولة من قبل الله بإرادة الرضى أو المسرّة.

ثانيًا: قد التحقت بحقّه عرضًا لا ذاتًا.

ثالثًا: هي مصنوعة من البشر سماحًا بسيطًا من قبل الله بطول أناة.

رابعًا: لم تكن ضروريّة لافتداء البشر ولا مقصودة في غايتَي التجسّد الإلهي لأنّ الخلاص كان يتمّ بدونه.

خامسًا: إنّ ما قد كمّلت بسوء إرادة البشر نظير سائر الخطايا التي تحدث ضدّ الجلال الإلهي من حيث إنّ الله تعالى أعطى إرادة البشر حرّيتها واستطاعتها على عمل الخير والشرّ باختيار عديم الانسلام حتى إنّ فعل الخير يكون اختياريًّا لا اضطراريًا. ومن هذا القبيل يكون هو موضوعًا للثواب والمكافأة في هذه الحياة وفي الحياة الأبديّة، ومثله إذًا حدث الشرّ يكون عو حريّة الإرادة غالية من الإجبار كرهًا ومن هذه الحيثيّة يستحقّ العقاب عدلاً في الحياتين.

وأمّا عن **السؤال السابع عشر** وهو كيف مكث المسيح في القبر؟ وهل في هذه البرهة انخلى الجوهر عن الجبلة، أو دُفن معه؟

فأجيب:

أوّلاً: بأنّه إذا افترقت نفس المسيح عن جسده بالموت الطبيعي الذي تمّ بإرادته الإلهيّة والإنسانيّة الخاضعة لها تمامًا لا كأنّه وجد تحت حكومة الموت نظير آدم وذريّته عقابًا عن عصيانهم على أمر الله ولا لأن هذا الموت كان ضروريًا لأجل خلاص العالم كما أبنت في الجواب المتقدّم بل لأنّه شاء هو ذلك لغايات يعلمها، فحينئذ جسده الطاهر دفن في القبر كسائر الناس وقبل نهاية الثلاثة ايّام من موته قد ردّ بقوّة لاهوته نفسه الناطقة إلى جسده الطاهر وأنهضه من الموت إلى الحياة السعيدة السرمديّة. وغب أن ظهر بناسوته بعينه لرسله وتلاميذه وغيرهم مرّات عديدة في مدّة أربعين يومًامثبتًا علىهذه الصورة حقيقة قيامته، صعد بناسوته إلى السماء أو بالحري إلى المحل الذي به يقتبل المجد المحق له ذاتًا وعرضًا من البرايا الناطقة أي من الملكيّة ومن أنفس الصالحين مداومًا التمتّع بسعادة لاهوتيّة الأزليّة والأبويّة التي اشترك بها ناسوته أيضًا المتقنّم بأقنومه الإلهي.

ثانيًا: إنّ ما اتّخذه الكلمة لم يفارقه كما أنّ هذا المأخوذ لم يعد ينفصل عنه أجلاً لأنّه اتّحد به اتّحادًا حقيقيًّا تامًا من كلّ جهاته ومحلّ الاتّحاد أي الطبيعة البشريّة قد تقنّمت به مسندًا وحيدًا لها بارتباط طبيعي كامل عديم الافتراق نظرًا إلى جوهريها المركبة هي منهما أي جوهر النفس وجوهر الجسد. ولهذا لا في تلك البرهة التي فيها لبث الجسد مدفونًا في ضريحه ولا قبلاً منذ دقيقة التجسد إلى البرهة المذكورة ولا بعدًا، فلا انخلى الجوهر عن الجبلة ولا هي انخلت عنه بل ولا ممكن خلو أحدهما عن الآخر مؤبدًا، وبالتالي إنّ الأقنوم الثاني الإلهي الغير المنفصل عن الذات الواجبة الوجود والغير المتميّز عنها تمييزًا حقيقيًّا قد وجد في تلك البرهة مع جسد المسيح في القبر ومع نفس المسيح أينما كانت في مدّة انفصالها من جسدها ولم تحل بينهما وبين أقنومه الإلهي وذات الجوهر الواحد المشاع للثلاثة أقانيم مفارقة أو انفصال بتة ولو بوجه من الوجوه أصلاً.

ثالثًا: أميّز القول المورد في السؤال (أي أنّ الجوهر دفن معه) فإن فهم بمعنى المرافقة لحال الاتّحاد العديم الانحلال فيما بين الطبيعتين الإلهيّة والإنسانيّة، فمسلّم، ولكن إن فهم بمعنى الانحصار على الجوهر الإلهي فمنكر إذ إنّه لا الذات الإلهيّ' الواحدة ولا أقانيمها الثلاثة الغير المتميّزة عنها تستطيع أن تنحصر في أين، أن تقع عليها المقادير أو أن تخلو من مكان، بل يصدّق وجود الكائنات جميعها فيها أحرى من وجودها فيها أي في الكائنات نظير ما يصدّق وجود الاسفنجة في البحر من وجود ماء البحر ضمنها نافذًا إيّاها من كلّ جهّاتها وهي موعبة منه وبالتالي بالنوع الذي به وجد الكلمة الأزلي بلاهوته الواحد مع الآب والروح القدس وبأقنومها الابني غب تأنسه مع جسد المسيح ونفسه بالاتّحاد القنومي (الأقنومي) الواحد الحقيقي خلوًا من اختلاط الطبيعتين الإلهيّة والإنسانيّة في بطن مريم العذراء وفي مدّة حياته على الأرض ثلاثة وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وفي الأزمنة الآخر بعد قيامته من الموت، فبالنوع عينه وجد في تلك البرهة نفسها التي فيها كان جسده موضوعًا في القبر ونفسه الناطقة منفصلة عنه، وهكذا وجد هو في القبر مع الجسد وفي المقرات الآخر مع الروح وفي السماء مسكن الأبرار وعلى كرسي المجد مع الآب ولبروح القدس في وقت واحد لأنّه عديم أن يكون محصورًا.

ثم أجيب أخيرًا عن **السؤال الثامن عشر** والأخير: ترى بعد صعود الابن بالجسد إلى السماء فهل بقي الجوهر متّحدًا مع الجسد اتّحادًا كاملاً ومتّحدًا مع الآب والروح القدس اتّحادًا مع الجسد الذي ما كان قبل التجسّد،

فأقول:

أوّلاً: ما قلته قبلاً أي أنّ ما اتّخذه الكلمة لم يفارقه قط لأنّه محال أن يهدم هذا الاتّحاد القنومي الطبيعي الذي بفعل هكذا سام قد تمّ بمسرّة الآب وبمشيئته الخصوصيّة به وبتجسّد الابن واتّخاذه لذاته الإنسانيّة وتقنّمه بها مستندًا إيّاها على ذاته وأقنومه الخاص وبفعل الروح القدس مكوّ، هذا التكوين العجيب في أحشاء مريم البكر فائقًا على الطبيعة لأنّه لو لم يبق الجوهر الإلهي متّحدًا مع الناسوت في المسيح لكان يحدث انحلال هذا الاتّحاد أمّا بتلاشي نفس المسيح وجسده تلاشيا مطلقًا بردهما إلى العدم وهذا يضادد صلاح الله ويناقض عمله الدائم في الطبيعة البشريّة التي حفظ ويحفظ أفراد نفوسها حيّة إلى الأبد وأفراد أجسادها دوام حياة كلّ منها في الأرض ودوامها السرمدي بعد البعث والنشور حين القيامة العامة، وأمّا بافصال ناسوت المسيح عن لاهوته وإسناد الناسوت بمسند جديد أي بخلقته له وقتئذ أقنومًا بشريًا مقنّمًا إيّاه به وهذا يضاد الكمال الإلهي ويناقض جلال ذاته إذ يهين إهانة لا تحدّ ذاك الناسوت مرّة تقنم بالأقنوم الإلهي وارتفع إلى سموّ مقام العزّة الإلهيّة الكمال بهبوطه إلى أعماق الذلّ والهوان –تجلّى الله عن التضاد والتناقض.

ثانيًا: إنّه لا ريب ولا إشكال في أنّ اتّحاد الكلمة الأزلي مع الناسوت في المسيح لبث اتّحادًا كاملاً خلوًا من نقصان بعد صعوده بالجسد إلى السماء كما كان في جوف مريم البتول وفي زمن حياته الجسديّة على الأرض، وفي برهة موته بالناسوت، وفي مدّة الأربعين يومًا التي مكث بها على الأرض قبل ارتقائه بالجسد إلى سدّة المجد السماوي لأنّه ليس فقط لا توجد علّة ما توجب نقص هذا الاتّحاد بكيانه في السماء كما كان هو به على الأرض بل أيضًا هذا النقصان يضاد الكمال الإلهي أن يجعله تعالى أن يرجع مستردًا ما أوهبه ويضاد الترتيب اللائق بعدله وهو أنّه في الحياة الفضلى المجيدة الأبديّة التي بها يزيد مجد مختاريه بما لا يحدّ مجازاة لأعمالهم الصالحة عما هم كانوا به على الأرض، فبالضد ينقص عن المسيح في السماء ذاك الشرف العظيم الذي كان له وهو على الأرض أي أنّ÷ فيها يوجد هو متّحدًا بأقنوم الكلمة وبالذات الإلهيّة اتّحادًا كاملاً وبعد ذلك وهو في السماء المجد والمكافأة عن أعماله ينقص عنه كمال الاتّحاد لا بل أنّ هذا يهين العزّة الإلهيّة في أقنوم الكلمة بتنقيص كرامته.

ثالثًا: لأنّه إن كان ابن الله ممكنًا ولائقًا بالنسبة إلى الذات الإلهيّة وبالنسبة إلى الطبيعة البشريّة ولم يوجد في ذلك مانع ضدّي كما برهنته في محلّه وبالتالي بعد حلول /الكلمة/ في أحشاء مريم العذراء متأنّسًا منها، وفي زمن يبيبقائه في هذا العالم لم يحصل للكلمة الأزلي لا نقصان عن أن يستمرّ مالكًا مع الآب والروح القدس لاهوتًا واحدًا أو ذاتًا واحدًا زلا عن أن يدوم أقنومه الابني غير متميّز عن الجوهر الإلهي تمييزًا حقيقيًّا، ولا عن أن يلبث فائزًا بجميع الصفات الإلهيّة المطلقة والمضافة كما كان قبلاً، نظرًا لحدوث اتّحاده مع الجسد الذي ما كان قبل التجسّد، فمن البين واللازم والضروري مطلقًا أن يستمرّ اتّحاده الابن الأقنوم الثاني مع الآب والروح القدس اتّحادًا كاملاً بعد تجسّده كما كان قبله بدون نقصان، وغب صعوده بالجسد إلى السماء كما كان على الأرض خلوًا من نقص ما أصلاً.

انتهت الرسالة والأجوبة وتليها الخاتمة.

ولتكن ههنا نهاية أجوبتي الحاضرة على السؤالات المقدّم غيرادها وقد استعملت الإيجاز الغير المخلّ هربًا من الإسهاب المملّ، وأتممت إرادة السائل في عدولي عن استناد أقوالي على شهادات الكتب الإلهيّة مع أنّها هي السند الأخصّ الأمكن والعماد الأجل الأركن لما نعتقده عن الله وأعماله من صدق شهادة أقواله لأنّ÷ عديم الخلل فيما أوحاه وكليّ الصدق فيما أنباءه وهو فاقد أن يغش فيما يعلن أو يغش ممن له يكمن وإذ ذاك فلي أمل بالصواب، خاليًا من الارتياب في أنّ الرجل المسلم الجليل والعالم الفقيه النبيل غب وقوفه على أجوبتي هذه الوجيزة المعالي البعيدة عن صفة الفصاحة وشقشقة اللسان بالشرح والمثاني وغير معدودة فيما بين التأليفات الحسان كوني لست من رجال هذا الميدان، أن يرفع هو وأمثاله الظنّ عنّا نحن النصارى أنّنا من المشركين أو من ذوي الضلال المبين إذ أنّنا حمدًا لواجب الوجود نعبده تعالى واحدًا في الجوهر، فردًا في الذات، صمدًا لا ندّ له ولا شريك ولا شبيه في الصفات، روحًا بسيطًا نزيهًا عن التأليف والأجزاء الماديّة، مالئًا جميع الأمكنة زالفسح الوجوديّ' والوهميّة، عاقلاً، مريدًا، فاعلاً مخصبًا، نزيهًا عن كلّ بداية أو نهاية، مصدرًا معقوله، محبًّا صورته الجوهريّة، محبوبًا منها، مفيضًا معها بهيجان الحبّ عن الإرادة روحه القدوس ذاتًا لا كناية، وكذلك هو مثلّث الصفات القيوميّة مع الخواص الإضافيّة المتّحدة بجوهره الواحد بلا تمييز نظير باقي صفاته المطلقة العديمة التحيي، مسمّى يقينًا أبًا وابنًا وروحًا قدسًا، ثلاثة أقانيم في إله واحد، كلاً منهم يمتاز عن الآخر ضرورة، وإضافة خلوًّا من امتيازهم عن الجوهر الواحد الماجد كالنفس وعقلها وإرادتها، وكالشمس وشعاعها وحرارتها. ثم نعتقد بما وجد ممكنًا ولائقًا من جانب الله ومن جانب الإنسان أي بتجسّد الأقنوم الثاني متّخذًا طبيعتنا البشريّة بذاته الإلهيّة قائمًا من طبيعتين وفي طبيعتين إلهيّة وإنسانيّة بأقنوم واحد خلوًّا من اختلاط وانعجان، وبهذا التنازل الخالي من انتقال مكاني خلّص آدم وذريّته من الهلاك المؤبّد بما به أظهر جوده ورحمته، واستوفى عدله عن الأثم والإهانة في حقّه بتدبير ممجّد، وهذا وذاك لم يوصلا إلى اللاهوت زيادة عن الوحديّة ولا الذات انقسامًا فيها عن الفرديّة ولا الثالوث نقصانًا أو إضافة إلى ما هو عليه، ولا هوانًا ولا عدم لياقة منسوبًا إليه، ولا الجوهر الإلهي اختلاطًا أو امتزاجًا مع الإنسانيّة في المسيح ولا انحصارًا أو تائينا للألوهيّة في فسيح، ولا تألّهًا ذاتيًّا للطبيعة البشريّة، بل اتّحادً حقيقيًّا أقنوميًّا بثاني الأقانيم الإلهيّة، ولا آلامًا وموتًا منسوبًا للبريء من الهيولي والعديم الموت بل تألّهًا ووفاة في المسيح بالناسوت. فأين إذًا عقيدة الإشراك الكفريّة الغريبة عن اعتقاد النصارى الصحيح؟ وأين الضلال المنسوب لهم خلوًّا من برهان وضيح؟

فاقبل منّي أيّها العلاّمة هذا الجواب وتقق احترامي إيّاك بكلّ وقار وأداب، فيما أسأل الله حفظك سالمًا، وفي الحقائق كلّها باليقين عالمًا. تمّت الخاتمة.